في الذكرى الثامنة لاستشهادها

حيـاة شرارة ..حكـايـة مـثقفـة مـاتـت من اجل الحـريـة

كان يوم الاول من ايلول ١٩٩٧ يوماً حزيناً اثقل بكاهله على ادباء العراق في الداخل والخارج وعلى مثقفيه واساتذة جامعاته ، كان يوم استشهاد د. حياة شرارة التي (اختارت) ان تودع الحياة مع ابنتها.
قيل (انهم) اختاروا لها ان تغادرنا هكذا فقد حاصروها تماما ، منعوها من السفر الى خارج العراق للعمل بحجة انها (امرأة) وليس معها (محرم) ومنعوها من العمل في العراق لانها لم تعد استاذة جامعية ومنعوا عنها الراتب التقاعدي الضئيل ايضاً..

المدى الثقافي

وعاشت هكذا متحدية كل صعاب الحياة، تكتب هنا وتترجم هناك.. على امل في انهاء هذا الحصار الظالم على استاذة جامعية لا ذنب لها سوى انها قالت "لا" للحزب الحاكم ولزمرة المتسلقين المتواطئين مع النظام الدموي.
بذل عمها الاديب اللبناني الكبير عبد اللطيف شرارة كل جهد ممكن لدى السلطات اللبنانية ولمن يعرفهم من المتنفذين ببغداد للسماح لابنة اخيه بالسفر الى لبنان لكنهم كانوا يعتذرون هنا في بغداد وهم يبتسمون ويحكمون شد الانشوطة على رقبة حياة فالقوانين (الموضوعة) لم تكن تسمح لزوجة المغفور له الدكتور محمد سميسم بالخروج من العراق لان احداً غير الزوج والابن لايمكن له أن يسافر معها والزوج رحل عنها منذ سنوات في (حادث) مأساوي وهي لم تنجب ولداً ليطير بها الى بيروت.. ماهو الحل اذن؟ أن تموت جوعاً وحزناً أو أن تستخذي امام سلطة صدام وتطلب العفو.. وحياة شرارة ابنة الاستاذ الكبير المرحوم محمد شرارة اللبناني الذي اختار ان يكون عراقيا قبل منتصف القرن الماضي لن تفعل ذلك بالطبع وما عليها اذن الا ان تموت خنقاً بالغاز صباح الاول من ايلول ١٩٩٧ وقد شاركتها ابنتها في ذلك الموت المروع.
ولدت حياة محمد شرارة ببغداد عام ١٩٤١ وكان والدها واحداً من الرموز الثقافية وكان بيته في الكرادة الشرقية مركزاً ثقافياً يجتمع فيه كبار المثقفين العراقيين امثال جعفر الخليلي صاحب جريدة الهاتف وهو قاص وروائي رائد وفؤاد عباس وهو باحث تراثي معروف وناجي جواد الساعاتي الاديب والدكتور مصطفى جواد وهو خزانة ثقافة تراثية حية وعبد القادر البراك الصحفي اللامع وغيرهم.
كان عمرها ١١ عاماً عندما غادرت العراق الى براغ عام ١٩٥٢ لتحضر مؤتمر السلام هناك ولتعاني وهي صبية اذى السلطات السعيدية، وعندما اكملت دراستها الجامعية الاولية ببغداد ارتحلت الى موسكو عام ١٩٦٢ لتكمل دراستها العليا ولتعود عام ١٩٦٧ استاذة في كلية اللغات متخصصة بالادب الروسي
كان شرط الحرية هو اساس تجربة حياة الثقافية والسياسية وقد اصطدمت افكارها الحرة بالفكر الشمولي الذي سيج العراق منذ ١٧ تموز ١٩٦٨ ولما عارضت تسييس الكلية والجامعة وصبغها بلون واحد نقلت الى مدينة السماوة موظفة في شركة السمنت!! لكنها وجدت الجرأة في ان تقابل احمد حسن البكر الذي امر باعادتها الى الجامعة فاستمرت في عملها محاصرة من قبل انصار السلطة في جو ارهابي كشفت القناع عنه في روايتها (اذا الايام اغسقت) التي صدرت بعد وفاتها، واستمر الضغط عليها فما لانت وفصلت من الجامعة في التسعينيات وحرمت من الراتب التقاعدي ومنعت من السفر حتى استشهدت عالية الجبين.
صدر لحياة شرارة الكثير من الكتب المؤلفة والمترجمة منها ١٩٦٧ (تولستوي فنانا) وفي ١٩٧١ (مایاکوفسکي) والادب الروسي في القرن التاسع عشر بالاشتراك مع د. محمد يونس عام ١٩٧٨ ودراستها الشاملة عن نازك الملائكة التي صدرت في بيروت ١٩٩٤ وترجمت (تشيخوف بين القصة والمسرح) ١٩٧٠ و (من ديوان الشعر الروسي) ١٩٨٣ و (مذكرات صياد) ١٩٨٤ و (مسرحيات بوشكين) ١٩٨٦ و (عش النبلاء) لتورجنيف ١٩٨٧ وغيرها كثير.
رحم الله حياة شرارة التي استشهدت في مثل هذا اليوم مرتين، مرة بسبب قلمها النظيف ومرة بسبب معاناتها كانسانة اخلصت لوطنها واحبته وللقتلة لعنة التاريخ.

متابعات ثقافية

مالا يشبه الأشياء
أدبـاء البصرة يحتفـون بـالـشعـر

احتفى اتحاد ادباء البصرة قبل ايام ضمن نشاطه الثقافي بالشاعر كاظم الحجاج بمناسبة صدور مجموعته الشعرية الجديدة (مالا يشبه الاشياء) التي صدرت عن دائرة الشؤون الثقافية .. شارك في هذا الاحتفاء كل من القاص محمود عبد الوهاب والقاص محمد خضير والشاعر والناقد مقداد مسعود وادار ندوة النقاش الشاعر عبد السادة البصري.

السر بعيدا عن التوتر

القاص محمود عبد الوهاب تحدث عن تجربة الشاعر متعرضاً لبنية القصيدة في مجموعة الشاعر الحجاج بوصفها تتميز بعلاقة بنائية تضم السرد + الشعر لتكوين المشهد الشعري داخل القصيدة وان هناك مفارقات اخرى استخدمت في المسرح او الشعر على المستوى البنائي. مبيناً ان الحدث او الدلالة او الصورة خرجت كلها عن مسار التوقع. ووصف القاص محمود عبد الوهاب المفارقات في شعر الحجاج بانها قيمة مهيمنة في شعره عموماً منذ اختيار الشاعر للعنوان اللغوي (مالا يشبه الاشياء) . وأكد ان في شعر الحجاج لغة سردية وعنصراً غنائياً يتدخل في سرد الاحداث داخل القصيدة. اسماه (سرداً لا يتصف بالتوتر) والحكاية في القصيدة تكون مغايرة، لان القصيدة في شعر كاظم الحجاج تقول متخيلها القصصي وفق عملية السرد التكويني، مؤكداً على ان المتلقي ليس معنياً بالحكاية ذاتها، كما ان المكان هو عنصر مولد للتحفيز. والشاعر يعتمد الطريقة السردية وهو يعمل على اجواء المتلقي . كما يستخدم الشاعر تقنيات السينما والمونتاج مبيناً ان البلاغة الشعرية تختلف في عدة الشاعر من العالم المحيط به.

الظاهرة الجاحظية

اما القاص محمد خضير فقد تحدث عن صديقه الحجاج قائلاً:
الشاعر كاظم الحجاج سهرنا الاسبوع الماضي، و من الشخصيات التي تستحق السهر وهو من الصعب ان يجد الباحث طريقاً الى شخصيته المقلقة، لذا وجدت ان من السهل ان ادخل الى عالمه الشعري باستعراض ما اسميه (الظاهرة الجاحظية) وقد اخترت عنواناً مغلقاً (الشاعر جالساً) وانا لا املك السخرية التي يملكها الشاعر كاظم الحجاج ولا اظن ان الشاعر يملك منها ما يملكه سلفه. واشار القاص محمد خضير في تناوله التأريخي . لو عرضنا اضلاع الشخصية الحجاجية (ويقصد هنا صديقه الشاعر) الى نتاج القرن الثاني لبانت اعراض الجاحظية.. والجاحظ اديب المتكلمين ومتكلم الادباء وقد وضع لنا فن الخطابة والرواية.. ويواصل القاص محمد خضير . القول: انه حضر جلستين شعريتين خليجيتين قرأ فيهما محمود درويش قصائده واقفاً على المسرح بينما قرأ ادونيس قصائده جالساً بمصاحبة عود نصير شمة.. موضحاً ذلك . حين يذكر الشعر العربي يذكر الشعراء واقفين.. وذكر هنا في بلاد الحداثة السيابية تقف طاقات الشعر على التاريخ الاجتماعي والسياسي.. وحاول ديوان الشاعر كاظم الحجاج (مالا يشبه الاشياء) ان يؤكد استمرارية الشعر العراقي وقوته الابداعية . لان قطارات الشعر العراقي لا تتوقف.

منجزات الشاعر

بعد ذلك استعرض الشاعر والناقد مقداد مسعود منجزات الشاعر كاظم الحجاج ومسيرته الادبية عبر اربعين عاماً من التواصل الابداعي في الشعر والنثر والمسرح.
واختتم الشاعر كاظم الحجاج الاحتفاء به بقراءة مجموعة من قصائد ديوانه الجديد (مالا يشبه الاشياء)

في المرايا
ارى أي شيء سواي
فانا مذ ولدت افتش عن جسد
قد يليق بروحي..
شموعي ضحايا عواصفكم
والنوافذ مفتوحة من جروحي
وانا عابد.. رغم كفري بكم
❖❖❖
ابي (آدم)
وبغداد (حوا)
فمن أي غرب يجيء جنوبي
ومن فوق أي جحيم
تتوب ذنوبي
بلادي (احمر) من جرح وجه الحسين
و (اخضر) من سعف نخل الجنوب..

افتتاح مكتبة معهد غوته في بغداد
ملتقى الحوار العربي الالماني في ضيافة اتحاد ديوان الشرق -الغرب

المدى الثقافي

في تظاهرة حضارية ، فاقت التصور ، بالقياس الى بلدان ، لم تشهد حروبا ، ولم تعش ارهابا ، تم في بغداد افتتاح مكتبة معهد غوته الالماني / فرع العراق ، في ضيافة اتحاد ديوان الشرق الغرب في الحادية عشرة من صباح الخميس ٢٥آب٢٠٠٥ .
قطع شريط افتتاح المكتبة أ.د. ضياء نافع .. عميد كلية اللغات ، من بوابة الثقافة ، كي تمد له يد السلام والحب والامل ، بعد ان دمرته الحروب وعاث فيه الارهاب . ومكتبة معهد غوته ، واحدة من المشاريع الالمانية .. الحضارية ، التي تشرع ابواب الانتماء للانسانية ، امام العراقيين ، بعد ان دقت الاحداث ، اسفينا فاصلا ، بينهم وبين الاسرة الدولية ، التي تعود لها .. اليوم .. من هذا المكان ، عبر معهد غوته الالماني .. نمد جسورا من الاحترام والتضامن الانساني الرفيع .. تآزرا .
واذ يضيف ديوان الشرق الغرب ، مكتبة غوته / فرع العراق ، فانه يتواصل بذلك ، مع سلسلة فعاليات سبق ان سطرها في ذاكرة الثقافة العراقية ، وانتشر بها اقليميا وعربيا وعالميا ، منها تكريم المبدعين العراقيين وعقد المؤتمرات التخصصية والندوات اكاديمية وسياسية وجامعية ورؤساء منظمات جماهيرية ومثقفين ومعنيين باللغة الالمانية من جامعات العراق ومحافله الثقافية .
كما امتدت (سفرة) من المعجنات والمرطبات ، في بوفيه مفتوح .
❖ ❖ ❖
القت الشاعرة امل الجبوري كلمة جاء فيها:
– ان المانيا ، تسهم اليوم ، باعادة اعمار العراق ، نافذة اليه ، من بوابة الثقافة ، كي تمد له يد السلام والحب والامل ، بعد ان دمرته الحروب وعاث فيه الارهاب . ومكتبة معهد غوته ، واحدة من المشاريع الالمانية .. الحضارية ، التي تشرع ابواب الانتماء للانسانية ، امام العراقيين ، بعد ان دقت الاحداث ، اسفينا فاصلا ، بينهم وبين الاسرة الدولية ، التي تعود لها .. اليوم .. من هذا المكان ، عبر معهد غوته الالماني .. نمد جسورا من الاحترام والتضامن الانساني الرفيع .. تآزرا .
واذ يضيف ديوان الشرق الغرب ، مكتبة غوته / فرع العراق ، فانه يتواصل بذلك ، مع سلسلة فعاليات سبق ان سطرها في ذاكرة الثقافة العراقية ، وانتشر بها اقليميا وعربيا وعالميا ، منها تكريم المبدعين العراقيين وعقد المؤتمرات التخصصية والندوات الجماهيرية المفتوحة و التبسط في الحوار مع فئات وشرائح متنوعة من المجتمع العراقي ، حيث يعنى الاتحاد ، من خلال بيت الطفولة العراقي ، بالايتام والمعوقين ، واقامة الاماسي الشعرية والقصصية والموسيقية والمسرحية والتشكيلية ، فضلا عن دورات تعليم اللغة الالمانية ، في المعهد الالماني التابع لاتحاد ديوان الشرق الغرب .
هذا الفرع .. واحد من مشاريع معهد غوته ، تجمعت فيه محتويات المكتبة ، باهداء من بعض المراكز في الشرق الاوسط ، لتكون (ملتقى الحوار العربي الالماني) عنوانا واداء . ولظروف العراق الامنية ، تعتبر هذه المكتبة ، بديلة عن معهد غوته ، في العراق قابلة للتطوير .
تفتح مكتبة معهد غوته / فرع العراق ، ذراعيها ، ترحابا بالمثقفين ، ومن يشاء الاستفادة من زخم العطاء الالماني .. فكرا ومعرفة .
مكتبة معهد غوته ، مفتوحة للمتابعين ، بكل موجوداتها ، من اهم واحدث الكتب الالمانية ، وكتب تعليم اللغة الالمانية ، مع (السيديات) التوضيحية الخاصة بها ، و الانترنيت ومشاهدة الافلام والمسرحيات الالمانية .. مجانا .
❖ ❖ ❖
ثم دعت الشاعرة امل الجبوري .. ا.د. ضياء نافع لالقاء كلمة قصيرة ، قال خلالها:
كم اسعدني ان اجد المحافل الثقافية ، تشرع ابوابها على العراقيين ، بعد طول عزلة ممضة . سيجد خريجو الجامعات منافذ تطبيقية لممارسة ما تعلموه اكاديميا ، وبهذا سيكون دراسة تطبيقية لخريجي الالمانية ، موطئ قدم ، في مسيرة التواشج بين الشرق والغرب ، وللمثقفين العراقيين عموما ، سيكون معهد غوته ، مرفا آمنا ومنتجعا فكريا خصبا .
ثم عرض فيلم (سد هارتا) الماخوذ عن رواية بالعنوان ذاته للروائي الكبير هيرمان هسه .
❖ ❖ ❖
احتشد اتحاد ديوان الشرق الغرب بجمع من الاعلاميين ، يمثلون صحفا واذاعات وقنوات تلفزيونية .. محلية وعربية واجنبية .. لتغطية افتتاح مكتبة معهد غوته / فرع العراق ، وقد بثت معظمها فورا ، فضلا عن تقارير مطولة اعدت عن المناسبة والمعهد والاتحاد ، باعتبارها خطوة جريئة ، تحمل غصن الزيتون ، وسط طوفان من الارهاب ، مبشرة بالامان والحضارة والامل بارض يرثها عباد الله الصالحون .

أغانينا الشتائية

إلى خليل الاسدي/ شاعراً وشاهداً

ريسان الخزعلي

في /نادي الأدباء/
كان النادل يداهمنا..
وحين يداهمنا /النادل/ منصتاً..،
لغناء شجيّ نرتلهُ.
كانت ظلالنا..
تلوذ قرب الجدار..
وكان الغناء حضوراً يستضيف
السماء..،
وقد تسلل القمر.
يقدم البياض للبياض....،

برقة من سكره انشطر.
وعن غيابه وفضة المحبة القديمة
اعتذر.
....،
في نادي الأدباء،
حين يداهمنا النادل منصتاً.

نراه الوحيد مختفياً..
يلوذ خلف الجدار..،
بأذنين سليلتي حجر.
.....،
يلوذ.. يلوذُ.. وتبقى اغانينا.
تبقى اغانينا الشتائية..،

معاطف..
نعيرها للمنصتين..،
ولا نسترد غير الشتاء الجديد!
نسترد...
الغناء..
البعيد..